كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) بتربية الناس (دراسة تداولية)

أ.د. علي ناصر مطلك

Salamiraqi230@gmail.com

جامعة ذي قار/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص

خط الامام الكاظم (عليه السلام)خطا اسلامياً ومنهجا قويما للإنسان في علاقته بالناس بعد ما خط خطا مستقيما في علاقة الإنسان بربه (عزوجل)، فعندما يكون الشخص في مجتمعه فلكي يعيش حياة طيبة؛ بعيدا عن الافعال والاقوال المخالفة للشرع الحنيف والذوق العام ، ينبغي أن يحفظ سلوكه موافقا لذلك ؛ ففكرة البحث هو التركيز على كلمات الامام (عليه السلام) المتعلقة بتوجيهات الناس ،فأخذت بعضها ودرستها دراسة تداولية حسب انظار علم اللغة الحديث ،فبينت ان دلالات التداولية في لسان الامام تتجلى في بيان العتبات الإفهامية لأقواله (عليه السلام)للناس كخطاباته التوجيه والتحذير والنداء والامر والنهي ،وكيف ان الامام اراد تنقية الفرد بان لايخالط الا العقلاء الامناء من الناس ،وان يهرب من سائر الناس ،فيلحظ المتلقي معاني مضمرة وظاهرة فيما رقنه الامام في توجيهاته التربوية للناس ،والامام كان يركز ايضا على بناء شخصية عقلائية في مواجهة الدنيا وفي الاستعداد للآخرة ، فنجد الامام يقسم الناس الى عدة أصناف ،منهم المعانق لهواه ،وآخر حوى علما الا أنه كان مستكبرا ومغترا به وما الى ذلك من الاصناف، وهي تعني اشاريا البعد عن هذه الشخصيات السلبية أو الشخصيات التي يعبر عنها بـ(الاغلبية الصامتة)او الحيادية، فالإمام (سلام الله عليه) فك لغز الشخصية الإنسانية وسبرها وحاورها وان كانت النفسية البشرية معقدة للغاية وتتأثر بالانفعالات العاطفية .

الكلمات المفتاحية: نظرية ،التداولية،الفعل الكلامي،كلمات الامام،التوجيهية،التعبيرات.

Words of Imam Al-Kadhim (peace be upon him) about raising people(Pragmatic study)

Prof. Dr. Ali Nasser Mutlaq

Abstract

Imam Al-Kadhim (peace be upon him) wrote an Islamic line and a right approach for man in his relationship with people after he wrote a

straight line in man's relationship with his Lord (Almighty). When a person is in his community، it is in order to live a good life. Aside from actions and words that violate the holy law and public taste، he should maintain his behavior in accordance with that. The idea of the research is to focus on the words of the Imam (peace be upon him) related to the people's directives. So I took some of them and studied them pragmatically according to the eyes of modern linguistics. I showed that the connotations of pragmatics in the Imam's tongue are evident in explaining the interpretive thresholds for his (peace be upon him) sayings to the people، such as speeches of guidance، warning، call، command، and prohibition. And how the Imam wanted to purify the individual by only mixing with rational and honest people، and fleeing from all people. The recipient notices hidden and apparent meanings in what the Imam inculcated in his directives to the people. The Imam also focused on building a rational personality in facing this world and in preparing for the afterlife، so we find the Imam People are divided into several types، including those who embrace their whims، others who harbor knowledge but are arrogant and deceived by it، and other types of things. It means، indicatively، staying away from these negative personalities or personalities that are expressed by (the silent majority) or neutrality. The Imam (peace be upon him) He must decode the mystery of the human personality، probe it، and dialogue with it، even though the human psyche is very complex and affected by emotional emotions.

Key word: Theory،pragmatics،speech act،imam's words، directives، expression.

المقدمة

قيمة كلام أهل النبوة (عليهم السلام) لا تجارى بين المخلوقين؛ لأنهم زقوا العلم زقا من خاتم النبيين وسيد الأنام محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، فكانت أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم مليئة بالإشارات والبلاغات ؛ فكان اختياري لكلمات الإمام الكاظم(عليه السلام) الموجهة الى

الناس ، فاخترت من معين كلامه (عليه السلام) عينات ، فدرستها دراسة تداولية ، وبينت قيمتها الدلالية وجعلت البحث مكوناً من ملخص ومقدمة ومبحثين ، فتكلمت في المبحث الأول عن سيرة الإمام (عليه السلام) بشكل موجز ؛ لان الشيء اذا استطال قام بنفسه ، والإمام أشهر من أن يعرف ، وفي المبحث الأول أيضاً تكلمت عن التداولية وعن أهل البيت وكيف ان التداولية أثارت اهتمام الدارسين والباحثين وفي المطلب الثاني منه تكلمت عن العتبات التداولية في كلام الإمام باستخدام الأدوات (Tools) وكيف ان الإمام استعمل أدوات الربط والفصل والضمائر في توجيه الناس والروابط المعنوية كالتعظيم والتهويل، وفي المطلب الثالث كان التداولية في كلام الإمام الموجهة على أفعال الكلام ؛ إذ كل ملفوظ ومكتوب صادر من الإمام ينض وي تحته بعد كلامي ودلالي يبدأ من المتكلم (مبدأ الكلام) وينتهي بالمتلقي(أي من الباث الى المستقبل) ، وفي المبحث الثاني كان الكلام منعقداً حول استعمال الإمام (عليه السلام) أساليب انشائية وطلبية؛ وذلك للتنوع الدلالي والأسلوبي في كلمات الإمام، وان كلامه ليس على وتيرة واحدة مما يسبب السآمة والملل ، بل كان منتقلاً من الخبر الى الانشاء وكذلك الطلبي ، وفي المطلب الثاني من البحث تحدثت عن اختيار الإمام لكلمات تتناغم مع لغة الجسد(language of body)، كسيماء الوجه وتقاسيمه من فرح وترح وسرور وقهقهة وبكاء وكلها لها آثار نفسية واجتماعية على الشخص، ثم ختمت البحث بخاتمة أجملت فيها أبرز ما تم ذكره في البحث، هذا والحمد لله وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المبحث الأول:

التداولية عند الامام الكاظم والاستعمال التداولي في كلماته التربوية

المطلب الاول

الامام الكاظم (عليه السلام)أشهر من الشمس وأبين من الامس ،يكفيه شرفا انه لقب بالكاظم؛عملا بقوله تعالى : (والكاظمين الغيظ)ال عمران :١٣٤،ويكفيه شجاعة انه عاصر ستة من الخلفاء واحد اموي والبقية من الخلفاء العباسيين ؛لكنه ربى اناسا ربانيين و نشر علما تربويا غزيرا ،ويمكن مراجعة المصادر والمراجع الاتية للوقوف على هذا الجبل من الصبر والعلم (بحار الانوار٥/٤٨،معجم مقاييس اللغة لان فارس:١٨٤/٥،تاريخ بغداد ١٢٠/١،اختيار معرفة الرجال:٨٦٣/٢،والمناقب :لابن شهر آشوب:٣٨٣/٢،فلم أطل بترجمته ؛لان مديح الشمس يذهب باطلا.

التداولية في كلام أهل البيت ((عليهم السلام))

التداولية أثارت اهتمام الدارسين في شتى ضروب المعرفة ، فهي فضاء مفتوح على جل المعارف الإنسانية والاجتماعية ، فهي تشمل علم النفس والنفس الاجتماعي وتحليل الخطاب(Analysis discourse) واللسانيات (linguistics)

وأهل بيت النبوة ((سلام الله عليهم)) استخدموا في خطاباتهم للناس العلامات والاشارات والتفاعلات التخاطبية فالخطاب لا يمكن أن يختزل الخطاب في تسلسل جمل أقوال مركبة فحسب بل هو كيان قائم بنفسه ووحدة تتطلب تحليلاً مخصوصاً،[١] فالخطاب لا يمكن اختزاله في تسلسل جمل أو أقوال مركبة، بل هو ذات بنفسه يتطلب فك شفرته، فتعبيرات كلام أهل بيت النبوة لا تحتوي على بناء منظم وادراكاً فحسب بل هو وصف موضوعاً خارجياً وله فاعل منتج وفي طياته علاقة حوارية بين المخاطب والمتلقي[٢]، فأهل بيت النبوة استخدموا كلماتهم للتواصل بما لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فعلى سبيل المثال كان امامنا صاحب البحث الإمام الكاظم يقول في قضية ابتلائية مخاطباً الناس على إعلاء النعم، فانك لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه.[٣]، فهنا يربي الإمام الناس انه اذا تعرض أحدهم للحسد ، فهذا الحاسد عاصٍ لله عز وجل فيك، فأنت اكظم غيظك وارسم صورة مصغرة عن امامك الكاظم (عليه السلام) كما في قوله تعالى : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس...) (آل عمران: ١٣٤) ، فهذا الخط الاسلامي والإنساني والمنهج القويم للإنسان في علاقته بأخيه الإنسان سواء المحب له أو المبغض كما هنا في الحديث، وهذا هو ديدن كلام اهل البيت (عليهم السلام) فانه جامع للإشارة البالغة كما في قول النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لعلي عليه السلام ((علي مع الحق والحق مع علي، يدور الحق حيثما دار))[٤] فهنا يكشف النص ويختزن المبادئ التي تمس واقع الحياة ، فالمكلف يريد أسوة وقدوة حتى يسير عليه، فأرشده الحديث أن الناس إذا أخذوا طرقًا شتى فخذ انت الحق من معينه، ولننظر الى حديث النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عندما قال للناس مبيناً من هم الأشرار فقال ((شر الناس المثلث ، قيل : يا رسول الله وما المثلث؟ قال: الذي سعى بأخيه الى السلطان ، فيهلك نفسه ويهلك أخاه ويهلك السلطان))[٥]، فإن قيل: اذا كان النمام هنا يهلك نفسه واخاه، فلماذا يهلك السلطان؟ لان السلطان لا يدري لولا ان هذا النمام اوصل له الخبر، فباء السلطان بالإثم، لأنه عاقب بريئاً بسبب هذه الوشاية، انظر الى عظمة كلامهم ورمزية هذه الكلمات وكنهها، فينطوي كلام الإمام (سلام الله عليه) على معانٍ مضمرة منها ما هي صريحة تدرك بالإشارة ، ومنها ما هي ضمنية ، فتكتسي أهمية كلامه (عليه السلام) في خطابه للناس وتوجيهه لهم ، فنجد ان التداولية عنده (سلام الله عليه) لها مفاهيم وقضايا يمكن تحديدها في:

١- من يتكلم؟

٢- مع من يتكلم؟

٣- من أجل ماذا تتكلم؟

فيستخدم العبارات المناسبة والكنايات والضمائر والادوات حسب أحوال المخاطبين وحسب نفسياتهم ؛ وذلك من أجل اقناعهم والتأثير بهم؛ لأن الغاية من كلامه (عليه السلام) تحقيق نظرية الملائمة والقصدية في خطاباته.

ضمن الإمام (سلام الله عليه) كلامه بعدة روابط من هذه الروابط : التعظيم والتهويل (رابط معنوي) كما في قوله (عليه اسلام) من اراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، وسئل عن حد التوكل ما هو ؟ قال : لا تخف سواه.(٦)

فهنا استعمل الإمام (سلام الله عليه) صيغة التعظيم والتهويل لمن أراد أن يكون أقوى الناس وبين كذلك بالصيغة الخبرية (لا تخاف واه) من باب اقامة الخبر موقع الانشاء ، فكلام الإمام(سلام الله عليه) اعتمد على لغة تداولية قامت على تقريب

المطلب الثاني

العتبات التداولية في كلمات الإمام في الأدوات (tools)

استعمل الإمام (سلام الله عليه) أدوات عديدة في التعبير عن كلامه إزاء الناس وتربيتهم ، ومن هذه الادوات التي استخدمها الإمام اسلوب التحذير.

قال (عليه السلام) لهشام (اياك ومخاطبة الناس والأنس بهم الا منهم عاقلاً ومأموناً ، فآنس به واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية)(٧)

فهنا الإمام (عليه السلام) يوضح العلاقة بين الناس وأنه استخدم الأداة (إياك)، وهو الضمير المخاطب المنفصل، وان المرء يجب أن يختار العاقل والمأمون لصحبته ولا يصاحب غيرهم فشبههم الإمام بالسباع الضارية ، وهي المفترسة التي اعتادت على الافتراس ، وكذلك مصاحبة الخائنين والموتورين، فهنا تنبيه ارشادي وتربوي بان الصاحب ساحب ؛ لتحقيق السعادة ، والاكتفاء بفئة من الناس وهم العقلاء ؛ لان الإنسان يحتوي على مجموعة من القوى كالقوة النباتية والغضبية والخيالية والوهمية والعقلية ، وهذه القوة الأخيرة هي الحاكمة على الإنسان حتى يميز الحق من الباطل ، فحث الإمام (عليه السلام) هشاماً على تحري القوى العاقلة حتى تهذب القوى الموجودة فيه وإلا صار الإنسان مثل فرعون حينما قال ((أنا ربكم الأعلى)) وهو ما حكاه القران الكريم ((يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ)) (هود : ٩٨) ،وقال: (عليه السلام) لهشام أيضاً موضحاً العلاقة بينه وبين الناس ((احذر هذه الدنيا واحذر أهلها ، فان الناس فيها على أربعة أصناف:

١- رجل متردٍ معانق لهواه.

٢- ومتعلم مقرئ كلما ازداد علما ازداد كبراً ، يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه.

٣- وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته، يحب أن يعظم ويوقر

٤- وذو بصيرة عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به، فهو عاجز أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما يعرفه فهو محزون مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه وأوجههم عقلا.[٨]

فوصية الإمام (عليه السلام) باستخدام الأداة التحذيرية مثل وصية جده الإمام علي (عليه السلام) ((الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق))[٩]

فهناك علاقة بين الرباني وهو العارف بالله تعالى المخلص الذي لا يرجو من الدنيا ولا من الحكام شيئاً ، منقطع الى الله تعالى وهنا ذكر الإمام (ذو بصيرة عالم عارف بطريق الحق).

والهمج الرعاع في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) هم الأكثرية المذمومون في القران الكريم **((وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ))** (المائدة: ١٠٣) **((وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ))**(الزخرف: ٧٨) **((وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))** (غافر: ٥٧)، وما يعبر عنهم بزماننا (الأغلبية الصامتة الذين دمارهم أكثر من نفعهم؛ لذا امامنا الكاظم(عليه السلام) أن يصفي المجتمع من الناس السلبيين الذين يقولون في أنفسهم (حشر مع الناس عيد) ، فعبر عنهم في وصية أخرى للناس بـ (الامعة، فقال (عليه السلام) للفضل بن يونس (أبلغ خيراً وقل خيراً ولا تكن إمعة ، قلت ما الإمعة قال لا تقل أنا مع الناس ، وأنا كواحد من الناس ، ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال : ((يا أيها الناس أنما هما نجدان نجد خير ونجد شر، فلا يكون نجد الشر أحب اليك من نجد الخير)).[١٠]

وهنا يحذر الإمام الكاظم (عليه السلام) الناس من الدنيا فقال: يا هشام تمثلت الدنيا للمسيح عليه السلام في صورة امرأة زرقاء فقال لها: كم تزوجت؟ فقالت: كثيرا، قال :فكل طلقك؟ قالت: لا بل كلا قتلت، قال المسيح عليه السلام :فويح لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين.[١١]

فالإمام (سلام الله عليه) يذكر الأمة بأخلاقية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ويعيد لهم صوراً من مكارم الأخلاق، فخطابات الإمام (عليه السلام) للناس تستوعب تحليل (Analysis of discorse) وما يعبر عنه (onfort of zone) منطقة الراحة ، أو ما يعبر عنه بلهجتنا (يضع يده على موضع الألم، ويحذر من القول (اني معك) مع كل أحد في توجيهاته للناس.

المطلب الثالث

التداولية التوجيه خلال أفعال الكلام

استعمل الإمام (سلام الله عليه) في خطابه للناس وتوجيهه أساليب عديدة منها أفعال الكلام، وهو أن كل ملفوظ يحمل ويخفي بعدًا كلاميًا:

فقال (عليه السلام) عجبت لمن يشتري العبيد بماله فيعتقهم كيف لا يشتري الأحرار بحسن خلقه؟ فهنا استلزام في سياق محدد وهو والشراء وهذه المفردة، فتوجه الإمام من (world to words) وهنا تكرار الفعل يشتري فيه إحالة إلى أن البيع والشراء مما هو مركوز في الفطر الإنسان ، فهنا تمثيل كنائي استعمله الإمام (عليه السلام) بشكل لافت للنظر ودعوة إلى فعل شيء، وهو أن الذي يشتري العبيد كيف لا يشتري خواطر الناس بحسن خلقه، وهو استلزام لفعل شيء خلقي حسن، فاجتمعت في النص مبادئ الكلام

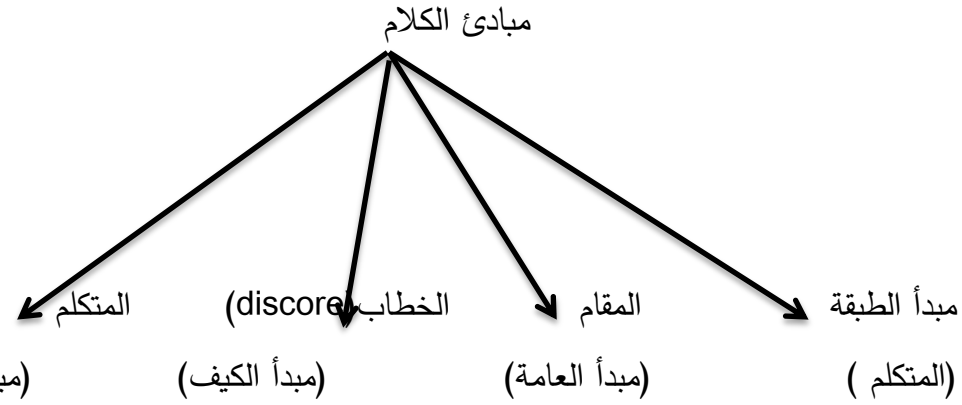

فهنا استلزام خاص في سياق محدد ، احتوى على التصريح بذكر الفاعل ، فينتقل الذهن من المذكور الى المتروك ، أي لا تعجبوا من شراء العبيد، بل اعجبوا من شراء الأحرار بفعل الأخلاق الكاملة، وما أروع ما عبر عنه الإمام بشكل كنائي ، وهو مشتمل على النهي عن العجب بطريقة بديعة جداً ، فقال (عليه السلام) ان أيوب النبي (عليه السلام) قال : يا رب ما سألتك شيئاً من الدنيا قط ،وداخلني شيء فأقبلت إليه سحابة حتى نادته: يا أيوب، من وفقك لذلك؟ قال: أنت يا رب[١٢]، ففي النص تحذير كامن ، وهو تنبيه المخاطب على أمر يجب الاحتراز منه فالإمام لم يستعمل كلمة (ويل) أو (ثكلتك) ونحوهما في هذا المقام، حفاظاً على مشاعر الناس، بل استعمل الاستفهام المتضمن معنى النفي، فهنا الإمام (سلام الله عليه) يضمن كلامه بما قاله القران الكريم عن النبي أيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) عندما أخبر **(أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** (الأنبياء: ٨٣).

فهنا قمة التسليم لله عز وجل في المقابل ذكر الله عز وجل صورة مغايرة لغرور ركبته الدنيا بأهوائها فقال: انما أوتيته **((قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي))** (القصص: ٧٨) **((فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ))** (القصص: ٨١)

بينما أيوب (عليه السلام) أنعم الله عليه **((وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ))** (ص: ٤٣)

المبحث الثاني

خطاب الإمام الكاظم (عليه السلام) للناس بالأساليب ولغة الجسد

المطلب الأول

استعمال الأساليب الإنشائية

وردت عدة أساليب إنشائية عن الإمام (عليه السلام) في خطاباته للناس منه ما هو أسلوب أمري كقوله (عليه السلام) (اطعموا الطعام وافشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس ، وادخلوا الجنة بسلام).[١٣]

فهنا الإمام بدأ وختم وصيته الاجتماعية للناس بدعوات لبذل الطعام وإفشاء السلام والصلاة في أجواف الليل وقت الغفلة ، ويعقب ذلك انه من فعل هذه الأمور دخل الجنة سالماً من الآفات.

فان قيل: ما هو الترتب في هذه الأوامر؟

ج/ الترتب فيها نفسي وطبعي، أي ان اطعام الطعام امر خارجي وقضية عيانية خارجية ترى بالمشاهدة تستلزم السعي والبحث عن الفقير كما قال تعالى ((وأطعموا البائس الفقير...) (الحج: ٢٨)

وإفشاء السلام أيضاً أمر ظاهر ومعلن لدوام المحبة والألفة، ثم الأمر بالعمل الاخفاتي وهو انك تصلي والناس ذاهلون عنك عكس المنافقين الذين قال الله عز وجل ((يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)) (النساء: ١٤٢) فالأمر هنا لو أردنا حفره كحفريات مقامية ، نجده له علاقة بالواقع المتصور، يبدأ من الشهود إلى الضمور.

ووجه الإمام(سلام الله عليه)) خطاباً ووصية عظيمة للناس ، فقال لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر أو ليستعملنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم[١٤].

فهنا غاية وقمة في الوصية للناس؛ لأنه به قوام حياتهم ومعاشهم، وهو صلاح المجتمع ؛ لأن الفساد والسكوت عن المنكر يؤدي الى استفحال الاشرار ، ولا ينفع بعد ذلك دعاء الاخيار، كما قال تعالى((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (الأنفال: ٢٥) ومن المعروف ان فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بها كفائي أو عيني.

فهنا لغة الإمام (عليه السلام) هي لغة استعمالية تحكمها القواعد الاجتماعية التوجيهية ، ولا تقوم على الاحتمالات والتخمينات بل على الواقع والتحقيق ، فكلامه (سلام الله عليه) ذو دوافع، وعلى الناس أن يتبعوه؛ لتحقيق مآربهم من خلال هذه اللغة التواصلية.

وهناك وصية للإمام (سلام الله عليه) بأسلوي لكل من كان له عبد أن يعتقه قبل موته، فعن محمد بن الحسن الأشعري قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام) جعلت فداك اني سألت أصحابنا عما أريد أن أسألك فلم أجد عندهم جواباً ، وقد اضطررت الى مسألتك، وان سعد بن سعد

أوصى الي فأوصى في وصيته حجوا عني (مبهمًا) ولم يفسر فكيف أصنع؟ قال يأتيك جوابي في كتابك ، فكتب (عليه السلام) (يحج له مادام له مال يحمله)[١٥]

فهنا التعبئة الخطابية من السائل للإمام ، وان السائل قدم بين سؤاله جملة (جعلت فداك)، وهي غاية التوقير والتقدير للإمام ، وان الإمام قال في تفسير وصية الميت(مبهماً) ففتح أقفال الوصية ، وان الرجل المتوفى قصد انكم حجوا عني مادام عندي مال ، فأراد الإمام من قوله (حجو عني) ولم يقيد أن يبين منطقة الراحة (confort zone) أو ما يعبر عنه بـ (steam) أو يمكن القول نحت هذه المفردة (coined) فكشف الغطاء عنها تداولياً واستعمالياً وقال عن زياد القندي ، قال كتبت الى أبي الحسن الأول(عليه السلام) علمني دعاء فأني قد بليت بشيء وكان قد حبس ببغداد حيث اتهم بأموالهم. فكتب إليه" اذا صليت فأطل السجود ، ثم قل ((يا أحد من لا أحد له، حتى ينقطع النفس ، ثم قل: يا من لا يزيده كثرة الدعاء الا جوداً وكرماً ، حتى ينقطع النفس، ثم قل يا رب الأرباب، أنت أنت أنت الذي انقطع الرجاء الا منك يا علي يا عظيم ، قال زياد فدعوت به ففرج الله عني وخلي سبيلي))[١٦]

فهنا عدة عناصر إشارية تداولية ذكرها الإمام مستخدماً النداء وجوانب اجتماعية نفسية.

١- النداء في (يا أحد من لا أحد له) فهنا أثبت الإمام وحدانية الله عز وجل له لا لغيره وأكد على استخدام الوحدانية بقوله (حتى ينقطع النفس) يعني حتى تخالجك وتخالج روحك لا تترك التوحيد.

٢- ملحظ نفسي اشار اليه الإمام في استخدام النداء ، وهي ان الله عز وجل ليس كحال الخلوقين ، فالله سبحانه اذا لم يعط غضب وبنو ادم اذا سئلوا غضبوا ، فبين الإمام للسائل ، وكان السائل في ضيق وشدة ، لكونه مسجوناً، واكد الإمام على السائل بالاستمرار على في دعاء الله عز وجل بقوله (حتى ينقطع النفس) .

٣- احتوى على التوكيد بقوله(سلام الله عليه) (حتى ينقطع النفس) والتوكيد بالضمير المنفصل المؤكد(أنت أنت أنت)

٤- هنا اشارة مهمة في خطاب الإمام ونصحه وهو ان الطالب للدعاء مسجون، وانه قد ابتلي ، وهذه الاشارة المكانية لها وقعها وحاجتها من الدعاء ، عملاً بقوله تعالى ((أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)) (النمل:٦٢) وهي من مواطن إجابة الدعاء.

المطلب الثاني

استخدام التداولية في أسلوب لغة الجسد

يقول الإمام الكاظم (عليه السلام:((كان يحيى بن زكريا (عليهما السلام) يبكي ويضحك ، وكان عيسى (عليه السلام) يضحك ويبكي ، وكان الذي يصنع عيسى أفضل من الذي يصنع يحيى[١٧].

فهنا الإمام (عليه السلام) يرشد الى قمة العلاقات الاجتماعية والتربوية والتفاعل مع الناس بالضحك والبكاء من خشية الله تعالى ومن ذكر الذنوب في حالات وتذكر الاخرة والموت في حالات أخرى واظهار الفرح والسرور وانشراح الصدور في اوقات المرح، فهنا تقاسيم الوجه وتعابيره أفضل كاشف عن النفس أو ما يعبر عن ذلك بـ (Body of language)

فان قيل لم قدم صفة البكاء على الضحك في النبي (يحيى) وفي عيسى (عليه السلام)، عكس؟

ج/ وذلك لان العبادة والخشية عند (يحيى) جعلته بكاء من خشية الله ، حتى أن ورد ان أباه النبي (زكريا) افتقده يوماً فوجده قد احتفر قبراً وأقام فيه يبكي على نفسه ، فقال يا بني : أنا أطلبك من ثلاثة أيام ، وأنت في قبر قد احتفرته قائم ، تبكي فيه ؟ فقال : يا أبت : أسكت أنت أخبرتني ان بين الجنة والنار مفازة لا تقطع الا بدموع البكائين ، فقال له: ابكِ يا بني، فبكيا جميعاً[١٨].

ومن لغة الجسد مما يدخل في العلاقات الاجتماعية ما ذكره معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت: جعلت فداك الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون فقال لا بأس ، ما لم يكن ، فظننت أنه عنى الفحش ، ثم قال: ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان يأتيه اعرابي فيهدي له الهدية ، ثم يقول مكانه أعطنا ثمن هديتنا ، فيضحك رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكان اذا اغتم يقول ما فعل الاعرابي ليته أتانا.[١٩]

فهنا الإمام (عليه السلام) أجاب السائل بأن ما يجري بين الأصدقاء من مزاح وضحك لا بأس به ، وذكر الإمام(سلام الله عليه) مزاح جده رسول الله (صلى الله عليه واله) فهنا رسم الإمام منهجه للانسان في علاقته بربه وبمجتمعه وبصديقه، فلم ينهه عن الدعابة التي هي المزاح ، فالمداعبة وادخال السرور على المؤمن من الايمان وحسن الخلق.

فان قيل: هناك وردت نصوص في النهي عن المزاح، فهي تعني المزاح الكثير المشتمل على المستقبح من الكلام الخارج عن الذوق أو الذي فيه استهزاء بالآخرين ، قال تعالى : ((**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**)) (الانفطار:٢٩)

ومن لغة الجسد ما ذكره الإمام (عليه السلام) مبيناً حدود التقبيل بين الناس في علاقاتهم ، فقال ((ليس القبلة على الفم الا للزوجة والولد الصغير)).[٢٠]

فهنا أدب اجتماعي يوجهه الإمام (سلام الله عليه) الى الناس بالتعامل الطيب الودود ، وتحذير من جعل القبلة على الفم إلا لفردين (الزوجة والولد الصغير) وهذا يعد سدًا للذرائع الموصلة إلى الحرام.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام)التربوية في علاقته بالناس (دراسة تداولية) يمكن استجلاء ما يلي:

١. التداولية فضاء فسيح استخدمها الإمام لبيان المعارف والعلوم التي اختص بها.

٢. تواصل الإمام عليه السلام مع الناس بأساليب جمة.

٣. استعمل الإمام عليه السلام كلمات تنضوي على معان مضمرة فتكتسي أهمية بلاغية تواصلية.

٤. لم يغب كلام الإمام من أدوات ترابطية وتأكيدية.

٥. كانت نظرية أفعال الكلام مما تضمنته كلمات الإمام؛ لأن كل ملفوظ أو مكتوب يحتوي بعدا كلاميا.

٦. التعظيم والتهويل من الأمور التي خالطتها كلمات الإمام.

٧. الخبر والإنشاء والأمر والنهي والنداء من الأساليب التي لم يهملها الإمام في خطابه للناس.

٨. لغة الجسد كانت حاضرة وواضحة في أسلوب الإمام للناس، فكانت ذا وقع يصف الفرد وحالاته العارضة من فرح وبكاء وغضب.

هذا جهد المقل ولا يحيط بكلامهم إلا الراسخون في العلم، وإن فهم كلامهم صعب مستصعب، وحسبي أني ولجت في بحر لجي من بحر علومهم، ولا يشقى معهم أحد، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الهوامش

(١) ينظر: التداولية اليوم: ٢٠٧.

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ١٦-١٧.

(٣) ينظر: بحار الأنوار للمجلسي: ٨٣/٤.

(٤) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢/ ١٢٢.

٥ ينظر: حكم النبي الأعظم: ٤٤٣/٧. رقم الحديث ١١٥٦٧.

(٦) ينظر: فقه الرضا(عليه السلام): ٣٥٨، وينظر آمال الصدوق : ١٩٩/٨.

(٧) بحار الانوار, ١٥٥/١.

(٨) تحف العقول:٣٨٣, والخصال للشيخ الصدوق: ٦٢٦؛ ميزان الحكمة , محمد الريشهري, ٤/ ٣٣٩٦.

(٩) ينظر: نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام: ٤٩٦.

(١٠) ينظر: تحف العقول:٤١٣.

(١١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩٦.

(١٢) ينظر: بحار الأنوار: ٣٥٣/١٢.

(١٣) ينظر: فقه الرضا: ٣٦٣, باب٩٧, والاختصاص:٢٥٣.

١٤ – ينظر: تهذيب الأحكام لشيخ الطوسي: ٦/ ١٧٦. رقم الحديث ٣٥٢.

(١٥) ينظر: تهذيب الأحكام: ٩/ ٢٢٦, وسائل الشيعة : ١٧١/١١, مكاتيب الأئمة: ٤/ ٤١٩– ٤٢٠.

(١٦) ينظر: الكافي: ٣/ ٣٢٨, بحار الأنوار: ٢٣٢/٨, مكاتيب الأئمة: ٤٥٥/٤.

(١٧) ينظر: الكافي: ٦٦٥/٣.

١٨ – ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٤١٠.

(١٩) ينظر: أصول الكافي: ٦٦٣/٢.

(٢٠) ينظر: تحف العقول : ٤٠٩.

المصادر

القرآن الكريم

١- اختبار معرفة الرجال(رجال الكشي) , أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) , مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) , قم ١٤٠٤هـ.

٢- الاختصاص , أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد ت ٤١٣هـ) , منشورات جماعة المدرسين , قم.

٣- بحار الأنوار, العلامة محمد باقر المجلسي(ت:١١١١هـ), دار الكتب الاسلامية, طهران(١٣٦٢هـ- ش).

٤- البداية والنهاية(أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي(ت٧٧٤هـ) , تحقيق: عبدالله بن عبد الحسن التركي , الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان, ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٥- تاريخ بغداد, أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) , دار الكتب العلمية , ط١, (بيروت-١٤١٧هـ).

٦- تحف العقول عن ال الرسول (صلى الله عليهم واله وسلم) , أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني , مؤسستى النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين , ط...(١٤٢١هـ).

٧- تحفة العالم في شرح خطبة المعالم , آية اله السيد جعفر بحر العلوم (١٢٨٩-١٣٧٧هـ), تقيق: علي مجيد الحلي, ط١, (١٤٣٣هـ) النجف, حي الغدير.

٨- التداولية اليوم (علم جديد في التواصل), آن روبول, جاك موشلال, ترجمة: سيف الدين دغفوس, د. محمد الشيباني, مراجعة: د. لطيف زيتوني, المنظمة العربية للترجمة , دار الطليعة للطباعة والنشر, (بيروت- لبنان, ط١(٢٠٠٣م).

٩- التداولية عند العلماء العرب(دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي), دار الطليعة(بيروت), ط١(٢٠٠٥م).
١٠- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي , تحقيق وتعليق سيد حسن الموسوي الخرسان, ط٤(١٣٦٥هـ ش) , مطبعة خورشيد , الناشر: دار الكتب الاسلامية – طهران – ايران.
١١- حكم النبي الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) محمد الري شهري بمساعدة لجنة من المحققين , دار الحديث للطباعة والنشر , ط١, (١٤٢٩هـ)
١٢- الخصال, أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(الشيخ الصدوق ت٣٨١هـ) مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين , قم (١٤٠٣هـ).
١٣- فضائل الخمسة من الصحاح الستة, سيد مرتضى الحسيني, الميزدي الفيروز آبادي, منشورات الفيروز ابادي.
١٤- الفقه المنسوب الى الإمام الرضا (عليه السلام) , تحقيق مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث , ط٢, (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).
١٥- الكافي , لثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي(ت٣٢٩هـ) دار صعب , دار التعارف , ط٤, بيروت, ١٤٠١هـ.
١٦- معجم مقاييس اللغة, أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت٣٩٥هـ), المحقق : عبد السلام محمد هارون, الناشر: دار الفكر(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
١٧- مكاتيب الأئمة(مكاتيب الإمام جعفر الصادق وموسى بن جعفر (عليهما السلام), علي الأحمدي الميانجي, تحقيق ومراجعة: مجتبى فرجي, قم , دار الحديث (١٤٢٧هـ).
١٨- مناقب ال أبي طالب (عليهم السلام) , أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني(ت٥٨٨هـ), منشورات العلامة, قم.
١٩- ميزان الحكمة , محمد الريشهري , طبعة دار الحديث , ط١, ١٤١٦هـ.
٢٠- وسائل الشيعة , محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ), مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) , دار احياء التراث, ط٢, ١٤١٦هـ.